النفس الإنسانية في سويتها وانحرافها

بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث

دراسة تربوية مقارنة

إعـــداد

د. أحمد جمعه محمد أبو شنب

جامعة أم القرى

معهد اللغة العربية

ملخص الدراسة

موضوع هذه الدراسة هو النفس الإنسانية في سويتها وانحرافها بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث. دراسة تربوية مقارنة.

وقد رتبت المادة العلمية على النحو التالي:

مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

- والمقدمة: تبرز صعوبة البحث في النفس الإنسانية كما تبين مشروعية دراستها... وملامح الوجهة الإسلامية للبحث فيها.
- المبحث الأول: تحديد مكانة النفس بين الروح والعقل في الإسلام وأن الإنسان يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه، ثم عرضنا (١٤) أربعة عشر مدلولاً لكلمة النفس كما وردت في القرآن الكريم ، واستخلصنا أنها معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعاله من الخير والشر، وأنها معنى يمكنه من التميز والوعي والإدراك.
- المبحث الثاني: التحليل الإسلامي لخصائص النفس الإنسانية وحالاتها الثلاث: النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، وتفسير الآيات القرآنية الدالة على كل منها، ثم بينا مدى شيوع وانتشار كل منها وعرضنا لكيفية معالجة النفس الأمارة بالسوء. وأكدنا أن النفس اللوامة تتردد بين الخير والشر وأن لها أثراً ملموساً في لوم الآخرين. وتعديل سلوكهم وأنها تنتقل بصاحبها من مرتبة الصلاح إلى مرتبة الإصلاح ثم عرضنا لخصائص النفس المطمئنة وتحليل أوصافها وسر اطمئنانها.
- المبحث الثالث: دراسة مقارنة لحالات النفس الثلاث في القرآن الكريم" الأمارة بالسوء واللوامة والمطمئنة" ويبين أقسام النفس الثلاث في علم النفس الحديث" الهو والأنا الأعلى والأنا" وبينا أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين مفاهيم النفس في القرآن الكريم وأقسام النفس لدى " فرويد" وأنه من الإعجاز القرآني الحكيم أن يكون للقرآن فضل السبق على علم النفس الحديث بتحديد هذه القوى النفسية الثلاث ذات الأثر الملموس- بقدرة الله تعالى – في توجيه السلوك الإنساني.

ثم عرضنا فكرة الحيل العقلية الثلاث : الإسقاط – التبرير- تكوين رد الفعل بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث.

ثم بينا أهداف القرآن الكريم في النفس الإنسانية، وكذلك أهداف الدراسات النفسية في التصور الإسلامي.

وفي الخاتمة بينا أهم النتائج وأوصينا بقراءة متأنية لتراثنا الإسلامي لكي ندرك خصائصه ومقاصده.

المقـــدمة

الحمد لله الذي خلق النفس وسواها، وألهمها فجورها وتقواها، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.. فإن موضوع هذه الدراسة هو النفس الإنسانية في سويتها وانحرافها بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث- دراسة تربوية مقارنة وفي هذه المقدمة نود إبراز صعوبة البحث في النفس الإنسانية، كما نورد إبراز مشروعية وأهمية دراستها وملامح الوجهة الإسلامية للبحث فيها نظرياً وعملياً.

إن النفس الإنسانية لغز معقد يستعصي على أبرع العقول بألوان شتى من الخدع والحيل واللاشعورية وأينما حاصرته تحاول اقتحامه صدتك عنه المناورات المحبوكة التي تصور لك الماء وهو سراب . ولا يعلم خبايا هذه النفس عميقة الأسرار إلا من خلقها فسواها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

ولما كانت الحواجز من حول النفس حصينة وقوية مما يجعل إدراك وفهم جوهرها صعباً ومتعذراً فقد توجه الباحثون نحو دراسة الظواهر السلوكية الصادرة عن النفس، وتحليلها تحليلاً علمياً يتناول أسبابها ودوافعها والانفعالات المصاحبة لها كما يتناول أثارها على الفرد وعلى الجماعة.

وجدير بالذكر توارد آيات قرآنية متعددة تدعو إلى النظر في النفس وتأمل أحوالها من غضب ورضي وميل ونفور، ونشاط وخمول، وكراهية ومحبة، إلى غير ذلك من الأساليب السلوكية التي تؤكد مشروعية دراسة النفس الإنسانية، وملامح الوجهة الإسلامية للبحث فيها، ومن هذه الآيات القرآنية: -

- في سورة الروم يوجه القرآن الكريم دعوة صريحة للتفكر في النفس والتأمل في خصائصها ، كما يوجه نداءاً قوياً لأن يستخدم الإنسان عقله في كل ما ينفعه في الدنيا والآخرة.. يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم:٨].

- وفي سورة الذاريات نجد الدعوة صريحة إلى التبصر في الكون وفي النفس معاً يقول الله

– عز وجل- ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات:٢٠-٢١]

- وفي سورة فصلت يقرن المولى – عز وجل – بين آفاق الكون وبين دقائق النفس حيث يقول –عز وجل- ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

ولهذا فقد جعلت النفس الإنساني موضوع هذا البحث وسميته:"النفس الإنسانية في سويتها وانحرافها بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث – دراسة تربوية مقارنة- وقد اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة..

وفي المقدمة تحدثت عن صعوبة البحث في النفس الإنسانية ومشروعية دراستها.

والمبحث الأول: مكانة النفس بين الروح والعقل في الإسلام، ومدلولات مادة (ن ف س) ومعانيها في القرآن الكريم.

والمبحث الثاني: التحليل الإسلامي لخصائص النفس الإنسانية وحالاتها الثلاث (الأمارة بالسوء واللوامة والمطمئنة).

والمبحث الثالث: دراسة مقارنة لحالات النفس الثلاث في القرآن الكريم وأقسامها الثلاث في علم النفس الحديث(الهو والأنا الأعلى والأنا) مع عرض فكرة الحيل العقلية الثلاث (الإسقاط والتبرير وتكوين رد الفعل، بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث.

وفي الخاتمة: ذكرت أهم النتائج والتوصيات.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

١- مكان النفس بين الروح والعقل في الإسلام:

يرتب علماء الإسلام هذه القوى الثلاث – الروح والعقل والنفس- حسب مدى اقترابها من الصفات الإلهية فأرفعها وأشرفها ما كان أقربها من الصفات الإلهية وهي الروح، وأدناها ما كان أبعدها من تلك الصفات وهي النفس.

ومن المقابلة بين هذه القوى الثلاث كما ذكرت في القرآن الكريم يتبين أن الروح تفيد إفاضة الحياة من الله عز وجل على الإنسان فهي أقربها إلى الحياة الباقية، كما أنها الجانب الخافي عن مداركنا الحسية، واستأثر الله تعالى بعلمه بها، فهي سر الوجود.. ولا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة بها... ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥]

وقد نوه القرآن الكريم بأن البحث في حقيقة الروح ليس من شأن الإنسان، وأنه مهما بذل من جهد في هذا الصدد، فإنه جهد ضائع.. وخير له وأجدى أن يتتبع الظواهر السلوكية الصادرة عن النفس.

أما العقل والنفس في بيان القرآن الكريم، فالراجح أن النفس أقرب إلى الطبع والقوى الحيوية التي تشمل الإرادة كما تشمل الغريزة، وتعمل واعية كما تعمل غير واعية، وأن العقل يتوسط بين القوتين – قوة النفس وقوة الروح – فهو وازع الغريزة في الجسد، كما أنه مستلهم الهداية في الروح.

فالإنسان طبقاً للتصور القرآني الكريم يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه.. فهو يتصل من جانب النفس بقوى الغرائز ودوافع الجسد؛ ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدائم وعلمه عند الله تعالى.

(د. عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى – ص٥٨-٦٠ بتصرف يسير)

ثم نعرض لمدلولات مادة (ن ف س) ومعانيها في القرآن الكريم.

٢- مدلولات مادة (ن ف س) ومعانيها في القرآن الكريم[١]:

وردت كملة (النفس) بلفظها في القرآن الكريم في نحو (٢٩٨) مائتان وثمان وتسعين موضعاً. وقد راجع الباحث معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، وتبين له أن المادة التي وردت فيها كلمة (ن ف س) تشملها المشتقات الستة عشر (١٦) الآتية:

تنفس	فليتنافس	المتنافسون	نفس
نفساً	نفسُك	نفسَه	نفسُها
نفسِي	النفوس	نفوسكم	الأنفس
أنفسكم	أنفسهم	أنفسنا	أنفسهن

ويلاحظ أن كلمة (نفس) قد وردت في أكثر من أربعين سورة من سور القرآن الكريم وأنها قد وردت بصيغة المفرد والجمع بصورتين (نفوس، وأنفس) كما وردت مضافة لضمير المتكلم والمخاطب والغائب المذكر والمؤنث ومعرفة بأل ونكرة.

وليس بالغريب أن يتحدث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية بهذا الكم الهائل،فهو الكتاب الإلهي الذي يهتم بتربية (الإنسانية) ومخاطبة(النفس) وهو الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٢]

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

وقد كان المفهوم الأكثر وروداً الكلمة (النفس) في القرآن الكريم هو (الذات البشرية) أي الإنسان بمجموع قواه الحسية والمعنوية، الإنسان ككل باعتباره وحدة متكاملة لا تتجزأ.

ثم يتلو ذلك من ناحية الإحصاء الكمي، ورود لفظ (النفس) بمعنى القوة الداخلية المؤثرة في الإنسان من حيث تفكيره وسلوكه، وعاداته، وعلاقاته. وبعبارة أخرى تلك القوى الداخلية التي تؤثر في الجوانب العقلية – المعرفية cognitive والانفعالية –

(١) محاضرة عامة ألقيتها بقاعة الشيخ حسن آل الشيخ بجامعة أم القرى.

الوجدانية affective والنفس الحركية psycho-motor

وتهتم الدراسة الحالية بإبراز ١٤(أربعة عشر) مدلولاً لكلمة (النفس) كما وردت في القرآن الكريم فيما يلي[1].

١- **النفس بمعنى (الذات الإلهية المقدسة)**: كما في قول الله عز وجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران:٢٨]وقوله تعالى﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام:١٢].

٢- **النفس بمعنى الذات الإنسانية:**

الكائن الحي وحدة متكاملة بمعنى" الذات البشرية" (جملة من الجسم والروح)، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤]

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦]

٣- **وقد ورد في آية واحدة كلمة النفس** للدلالة على الذات الإلهية وأيضاً للدلالة على الذات الإنسانية كما في قصة عيسى عليه السلام حيث يقول الله عز وجل ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦]

٤- **النفس بمعنى الروح:**

التي بها الحياة وهي الجانب الخافي عن مداركنا الحسية وهي سر الوجود ولذلك استأثر الله تعالى بعلمه بها، وهي عماد الحياة العضوية والوظيفية، ولا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة بها كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام:٩٣] ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴿٤٢﴾﴾ [الزُّمَر:٤٢].

---

(١) استفاد الباحث في هذا التصنيف من كتابات ابن تيمية، د. عبدالحميد الهاشمي، د. عيسى عبده والأستاذ إبراهيم سزسيق وغيرهم...

٥- **النفس تقع موقع القلب والضمير:**

حيث يكون فيه السر الخفي. فهي بمعنى ضمير الإنسان تلك القوة الداخلية المؤثرة فيه والمنطوية على خفاياه العميقة وأسراره الدفينة كما في قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]

وقال تعالى ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ [يوسف:٦٨] وقال تعالى ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء:٢٥]

وقال سبحانه ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة:٨].

٦- **النفس الأمارة بالسوء:**

باعتبارها أدنى أنواع الأنفس في جانبها السلبي وأبعدها عن رحمة الله تعالى حين تدفع صاحبها إلى الشر وتأمره بالسوء، كما في قول الحق تبارك وتعالى في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة عزيز مصر بعد ثبوت براءته ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] وقوله تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم:٢٣].

٧- **النفس المسولة:**

وهي التي تزين القبيح فتعرضه في صورة الشيء الجميل وتسوغ أهوائها بمكر وبراعة، فترسم الشر وكأنه خير وهي في الحقيقة لون من ألوان النفس الأمارة بالسوء حيث تزين مزالق السلوك الخاطئ أو المنحرف وتقيم الدليل بعد الدليل من وهمها وزعمها على أن شهواتها معقولة ومقبولة وذلك أخذاً من آيات عديدة وردت فيها مادة التسويل كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨] وكذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥]

٨- النفس الموسوسة:

وهي التي تهمس إلى صاحبها بالصوت الخفي الذي لا يكاد يسمع من الأعماق لتذكره بخواطر الإثم ومشاعر المنكر وهي لون من ألوان النفس الأمارة بالسوء كذلك. يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

والوسواس هو الشيطان الذي يوسوس لغيره ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس:٦]

٩- النفس اللوامة:

وهي التي تذنب وتتوب وتتردد بين الخير والشر فإذا فعلت الشر تابت وأنابت. وتسمى لوامة لأنها تلوم وتؤنب صاحبها على ما فرط وأخطأ؛ ولأنها تتلوم إلي تتردد بين الخير والشر، وتحاول العودة بصاحبها إلى الحق والاستغفار وإلى الطريق المستقيم، يقول الحق تبارك وتعالى في مطلع سورة القيامة ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة:٢].

١٠- النفس المطمئنة:

وهي أرقى مراتب النفس، وهي النفس المستقيمة التي تحب الخير وتريده وتسعى إليه، وتبغض الشر وتكرهه وتفر منه، وقد صار لها ذلك خلقاً وعادة وملكة. وهذه صفات لذات واحدة، وعندما يجد المسلم ذلك من نفسه يحمد ربه عليه. فالنفس المطمئنة في علاقتها مع الله تعالى مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٣٠].

١١- وتأتي النفس مراداً لها معين، وأشخاص بأعينهم:

فهي أصل الخلقة وأصل الإنسان الأول كما في قوله تعالى بمعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴿١﴾﴾ [النساء:١] أي آدم عليه السلام وفي قوله تعالى ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف:٢٦] أي يوسف عليه السلام وفي قوله عز وجل ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا

لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران:٩٣] أي يعقوب عليه السلام وفي قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦] فالمراد الرسول عليه الصلاة والسلام.

١٢- **النفس ويراد بها الجوانب المكتسبة** من الشخصية الإنسانية في مظاهر السلوك وعمليات التفكير وأنماط الخلق:

كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال:٥٣]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴿١١﴾﴾ [الرعد:١١].

١٣- **النفس الإنسانية بمعنى ما تحمله من دوافع وحاجات ورغبات:**

سواء أكانت فطرية وراثية لا تقبل التعديل أو كانت بيئية مكتسبة تنتظر التنشئة والتوجيه مع بيان لمسؤولية الإنسان في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤١] وقوله تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:١٠] ١٤- النفس الإنسانية في الإشارة إلى جانبها المادي العضوي:

من حيث الفروق الجنسية بين الذكر والأنثى في الإنسان وفي عالم الحيوان والنبات ثم في عالم الجمادات حيث السالب والموجب في الكهرباء والذرة وغيرها. مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس:٣٦]

والخلاصة:

أن كلمة (النفس) في القرآن الكريم باستثناء دلالتها على الذات الإلهية، فإنها تدل على (الإنسان) بجملته من الروح والجسد.. ككائن حي متكامل في جميع مكوناته الجسمية والعقلية الفكرية والسلوكية، وفي مقوماته الفطرية الوراثية والبيئية المكتسبة، وفي دوافعه ميوله، وما هو مستعد له من تعزيز وإعلاء وخير أو انحراف وهبوط وشر.

فهي معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعاله من الخير والشر، كما أنها معنى في الإنسان يمكنه من التمييز والوعي والإدراك والإحساس بما يحيط به، وهذا المعنى يفارقه في النـــوم حيث يغيب وعيه.

المبحث الثاني

التحليل الإسلامي لخصائص النفس الإنسانية وحالاتها الثلاث

- النفس الأمارة بالسوء
- النفس اللوامة.
- النفس المطمئنة.

يقوم التحليل الإسلامي لخصائص النفس الإنسانية وحالاتها الثلاث ، بعرض أوصاف وملامح كل منها وخصائصها ، وبيان تفسير الآيات القرآنية الدالة على كل منها.

١- النفس الأمارة بالسوء:

ونتناول بالحديث تفسير الآية القرآنية الدالة عليها ثم نعرض لسمات وصفات هذه النفس، وما إذا كان هذا الوصف ثابتاً ودائراً مع مواقف الحياة، ثم نبين مدى شيوعها وانتشارها وكيفية معالجتها.

أ- الدليل القرآني على وجود النفس الأمارة بالسوء:

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣]

يقول الفخر الرازي في تفسير الآية – بتصرف يسير.: "وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة.. والسبب فيه أنها قد ألفت للمحسوسات، وتلذذت بها" ولما كان الغالب هو انجذابها إلى العالم الجسدي، وكان ميلها إلى الصعود إلى عالم المجردات نادراً فقد حكم عليها بكونها أمارة بالسوء.

كما يشير النص القرآني إلى طبيعة هذه النفس وأنه تستمرئ الشر وتجد تحقيقاً لشهوتها فيه فيكون صاحبها ميالاً لحبك المؤمرات، وتدبير الدسائس والفتن، وتهديد الأبرياء، وهتك حرمات الناس، ورمي المحصنات الغافلات،.. وهو لا ينفك يدبر المؤامرة

تلو المؤامرة.. فجرثومة الشر في دمه تعمل عملها بلا انقطاع (سرسيق: ٤٨-٤٩).

ويقول الإمام الشوكاني في فتح القدير (النفس لأمارة بالسوء : أي أن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات ، وتأثرها بالطبع، وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك إلا ما رحم ربي، أي إلا من رحم الله من النفوس فعصمها عن أن تكون أمارة بالسوء.. (الشوكاني ٣٠/٣٤/٣٥)

ب- وهل هذا الوصف ثابت للنفس أو دائر مع مواقف الحياة اليومية؟

والجواب على ذلك، أنه ليس هناك وصفاً ثابتاً للنفس ثبوت الحرارة للشمس مثلاً... وإنما تستمرئ بعض النفوس عماية الغواية حتى تَعُتَّ كؤوس الملذات، وتنهل من حياض المحرمات، ما دامت لم تجد رادعاً و لم يتسلل إليها بصيص من نور الهداية. (سرسيق: ٥١: بتصرف).

ج- ما مدى شيوع وانتشار هذه النفس الأمارة بالسوء؟

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن تكثر نسبة النفوس الأمارة بالسوء في المجتمعات بدرجة لايماثلها ما ذكر في القرآن الكريم من نفوس أخرى " لوامة، مطمئنة" ومن التأملات الدقيقة في النص القرآني ﴿۞ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:٥٣] ما يلي:

١-أن الله سبحانه وتعالى قد أورد النفس معرفة بأل التي تفيد الاستغراق لعموم الجنس وعلامة ذلك صلاحية وضع كلمة " كل" في موضع أداة التعريف أي أن كل نفس أمارة ونظير هذا الاستخدام قوله تعالى [إن الإنسان لفي خسر].

فالنفس الإنسانية في عموم أحوالها أمارة بالسوء لأنها خلقت في غالب أحوالها كذلك إلا من رحمها الله تعالى.

٢-إن النفوس الخيرة التي فهمت رسالتها وأدركت الغاية من خلقها في الحياة قليلة . وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: { إلا ما رحم ربي} حيث إنه من المعلوم أن المستثنى يكون بالضرورة أقل عدداً من المستثنى منه، ورد بصيغة العموم المفيدة

للكثرة يكون المستثنى حسب السياق اللغوي أقل بكثير من الناحية العددية، ويؤكد هذا قول الله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣]

ثم إن هذه النسبة العددية التي عصمها الله برحمته عن أن تكون أمارة بالسوء هي في الحقيقة موزعة على نوعين آخرين من أنواع النفوس هما النفس اللوامة والنفس المطمئنة، وهذا مؤداه أن النفوس الخيرة قليلة قليلة.

ويقول الإمام ابن القيم أنه يكفي في معرفة كثرتهم – أي كثرة أصحاب النفوس الأمارة بالسوء وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين وقد قال تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣]

وقال سبحانه ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام:١١٦].

٣- أن الله تعالى قد أورد الخبر في الآية { إن النفس لأمارة بالسوء} مؤكداً بعدة مؤكدات وهي:

(إنَّ) واسمية الجملة ولام الابتداء في الخبر، وعلى هذا يكون تأكيد المولى عز وجل لحقيقة كون النفس أمارة بالسوء معناه أن الأكثرين من الناس وإن لم ينكروا هذه الحقيقة إلا أنهم يتصرفون كما لو كان يذكرونها (سرسيق: ٥٢-٥٥ بتصرف).

د- كيفية معالجة النفس الأمارة بالسوء: -

- أول ما يتبادر على الذهن هو الاستعاذة بالله منها، فمن المعلوم أن سبب الشر في أي بيئة إنما هو النفس الأمارة بالسوء أو ما يقوم به الشيطان من وسوسة للإنسان وتحريض له على الشر. ولذلك علمنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.
- وقد ذكر الإمام ابن القيم نوعين من العلاج لهذه النفس وهما: المحاسبة والمخالفة: وتعليله لذلك: (إن هلاك القلب من إهمال محاسبة النفس وموافقتها وإتباع هواها. وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث شداد بن أوس قال قال رسول الله

ﷺ : (الكيس من دان نفسه وعمل بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتنمي على الله الأماني) (ابن القيم: ٩٤/١).

- والسيطرة على النفس الأمارة، وسد المسالك عليها في الاتجاه إلى الشر، يعتبر خطوة أساسية في الترقي بها إلى مرحلة أسمى، وهي النفس اللوامة. ولاسيما إذا اقترن ذلك بحفظ الجوارح السبع التي وصفها الإمام ابن القيم بأنها (رأس المال) وهي: " العين والأذن، والفم واللسان، والفرج واليد والرجل".

وهذا مصداقاً للآية الكريمة:" ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠]وقال عز وجل:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]

أما المخالفة فهي ردع النفس الأمارة عملاً بقول الشاعر الإسلامي:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

٢- النفس اللوامة:

حيث نتناول الآية القرآنية الدالة على النفس اللوامة وسر اقترانها بيوم القيامة والتفسيرات المأثورة عن معناها وأوصافها وملامحها وهل يمكن أن تكون اللوامة صفة ذم أم صفة مدح وهل هي " ملهمة"؟ وما هو إلهام الفجور والتقوى؟ وهل للنفس اللوامة أثر في لوم الآخرين؟

أ- لقد وردت الآيتان في مطلع سورة القيامة متضمنتين القسم دون تحقيقه وامضائه:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة:٢] واللوامة صيغة مبالغة من اللوم، وهو شدة التعنيف والمؤاخذة. ويبدو – والله أعلم بمراده – أن التلويح بالقسم دون تحقيقه أوقع في الحس من القسم المباشر كما أنه يدل على أن المقسم عليه أمر لا يحتاج إلى دليل لوضوحه وثبوته (السويدي: ٦٣-٧٠ بتصرف).

ب- من التفسيرات المأثورة عن معنى النفس اللوامة:

- قول الحسن البصري :" إن المؤمن بالله ما تراه إلا يلوم نفسه... ما أردت بكلمتي؟ ما أدرت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه".
- وقول عكرمة: أنها تلوم على الخير والشر.. لو فعلت كذا وكذا؟.
- وقول مجاهد: أنها تندم على ما فات وتلوم عليه...
- وقال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة للمعنى... والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

إن هذه النفس اللوامة هي النفس الكريمة على الله حتى ليذكرها مقترنة بيوم القيامة وأهوالها وما يحدث فيها من حساب وعتاب وجزاء وعقاب... وإن من أوصافها وملامحها أنها متيقظة خائفة متوجسة تحاسب نفسها وتتبين حقيقة هواها وتحذر خداع ذاتها ثم هي الصورة المقابلة للنفس الفاجرة.. نفس الإنسان الذي يريد أن يفجر ويمضي قدماً في الفجور والذي يكذب ويتولى ويذهب إلى أهله يتمطى دون حساب لنفسه ودون تلوم ولا مبالاة!.

ج- واللوامة صيغة مبالغة من اللوم، وهو شرده التعنيف والمؤاخذة.

وهذا اللوم يتجه في طريقين (سرسيق ٦١-٦٢) بتصرف (مرسي: ٥٥-٥٦ بتصرف).

الأول: محاسبة صاحبها على وقوعه أو ارتكابه العمل السيئ، كاقتراف معصية من المعاصي أو عقابه على الشر بأكثر من المثل وهي بهذا توقظ في صاحبها روح الإنابة والتوبة والاتجاه إلى الله.

والثاني: محاسبة صاحبها على التقصير في العمل الصالح.. وهذه المحاسبة ذات شقين:

- محاسبة على التقصير في أصل العمل الصالح.. كترك التصدق على مسكين .
- محاسبة على التقصير في الاستكثار من فعل الخير.. كلومها على التصدق بمبلغ صغير.

د- وهل يمكن أن تكون اللوامة صفة ذم أم صفة مدح؟

وقد توسط الإمام بان القيم في الأمر فلم يعتبر النفس اللوامة ممدوحة على الدوام أو مذمومة على الدوام وإنما نظر إليها من ناحية ما تلوم عليه فإن لامت على الخير فهي مذمومة ، وإن لامت على الشر فهي محمودة.(ابن القيم الجوزية: ١/٩٤).

إذن فهذه النفس مترددة بين الخير والشر.. نفس واعية لكيفية الاختيار بين هذا وذاك.. نفس في منزلة وسطي بين الأمارة بالسوء التي اختارت السير في طريق خطأ والتردي في الإثم وبين النفس المطمئنة التي عندها السكون والطمأنينة.

ويتفق هذا الرأي مع ما ذكره الشوكاني (ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها..إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت؟وإن عملت سوءاً قاتل: ليتني لم أفعل) (الشوكاني : ٥/٢٣٥) (مرسي : ٥٨-٦٠) بتصرف.

هـ- وصف بعض الباحثين النفس اللوامة (بالملهمة).

ويقصد بذلك أنها ألهمت الخير والشر وأنها تدور في الاختيار بينهما حسب مواقف الحياة المختلفة، وحسب ما يعتورها من نوازع الهوى والضلال. وهذا تأويل آيات عديدة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧- ١٠] فالله سبحانه وتعالى قد سوى هذه النفس أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة الأصلية. أما التعبير بالإلهام في مقام الاختيار في قوله تعالى ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ فالمراد به أن هذه الاختبار يتم بإرادة الله سبحانه وتعالى، مع تهيئة منه للعبد فيما يختار. فالله سبحانه وتعالى يهيئ النفس لما خلقت له، والاختيار والكسب للعبد فيما يختار(مرسي: ٥٨ بتصرف).

والإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج أنه بطبيعته مزود باستعدادات للخير والشر، والهدي والضلال.. فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء، وإن هذه القدرة كامنة في كيانه، يعبر عنها القرآن الكريم بالإلهام تارة كما في قوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾.

كما يعبر عنه بالهداية تارة أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد:١٠]فهي كامنة في صورة استعداد(سيد قطب: ص٦- ص٣٩١٧).

والمطلوب من الإنسان أن يكون عاقلاً مختاراً لا متردداً حائراً..

و- هل النفس اللوامة أثر في لوم الآخرين؟

والجواب نعم، يمكن أن يكون للنفس اللوامة أثر ملموس في لوم الآخرين على مافعلوا من خير أو شر ذلك أن النفس اللوامة ليست جوهراً متميزاً بذاته عن الحسد، وليس لها تكوين هادي، ومن ثم فهي لا تستطيع أن تنتقل إلى ذوات الآخرين لكي تلومهم ، أو توجه النصح إليهم ، وإنما هذه النفس قد تحض صاحبها على دعوة الآخرين إلى شيء محدد يؤثر فيهم فيكون في ذلك تأثيرها غير المباشر، وهذه الظاهرة يعرفها علم النفس بظاهرة الإيحاء...

وكثيراً ما تكون هذه الظاهرة سبباً في تعديل السلوك وتغيير الأفكار والاتجاهات. فإذا كان للنفس اللوامة أثر في زجر الآخرين عن الشر، ودعوتهم إلى الخير فإنها تنتقل بصاحبها من مرتبة الصلاح إلى مرتبة الإصلاح وتلك أسمى الغايات في طريق الدعوة إلى الله عز وجل (مرسي: ٥٩-٦٠ بتصرف).

٣- النفس المطمئنة:

حيث نعرض الآيات القرآنية الدالة عليها وما ذكرته كتب التفسير بالنسبة لماهيتها وخصائصها وسر اطمئنانها.

أ- لقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم ذكرت الاطمئنان منها:

- يقول الله تعالى: - ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٢٧- ٣٠]

وهذا التبادل في الرضي في علاقة الإنسان بربه في هذه الحياة الدنيا وكذلك في الدار الآخرة.

وفي سورة الرعد يرسم القرآن الكريم صورة شفافة للقلوب المؤمنة في جو من الطمأنينة والبشاشة .. يقول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨]

وفي سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران:١٢٦]

وهنا يحرص السياق القرآني على رد الأمر كله إلى الله، كي لا يعلق بتصور المسلم ما يشوب هذه القاعدة الأصيلة، قاعدة رد الأمر جملة وتفصيلاً إلى مشيئة الله وإرادته الفاعلة ، وفي هذه الآيات يستحضر مشهد غزوة بدر الكبرى والرسول ﷺ يعدهم الملائكة مدداً من عند الله إذا هم استمسكوا بالصبر والتقوى والثبات في المعركة.. ثم يخبرهم بحقيقة المصدر الفاعل من وراء نزول الملائكة ألا وهو الله العزيز الحكيم الذي تتعلق الأمور كلها بإرادته، ويتحقق النصر بفعله وإذنه(سيد قطب: ط١ ص٤٧٠-١٧١).

ب- ماهية النفس المطمئنة، وتحليل مضامينها:

يقول الإمام القرطبي: النفس المطمئنة الساكنة الموقنة، أيقنت أن الله ربها فأخبتت لذلك) قاله مجاهد وغيره.. وقال ابن عباس : أي المطمئنة بثواب الله ، وقال الحسن: المؤمنة الموقنة، وعن مجاهد أيضاً: أنها الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.(القرطبي: ٢٠/٥٧). ويبدو من مجموع الأقوال الواردة في ماهية هذه النفس وتحليل أوصافها العميقة وخباياها الدقيقة أنها نفس: بلغت قمة الرضا والأمان لأنها اعتصمت بالله عند كل افتتان.

وصارت فوق الأحداث بما أتاها الله من حكمة في التماس الحكمة الإلهية في الأحداث. فكفت هذه النفس عن لهو الحديث، وانشغلت بالأعمال الصالحة عن فضول القول وعن صغائر الأمور (سرسيق: ٧٤-٧٥ بتصرف بسيط).

وقد أعطت آيات سورة الفجر أوصافاً أربعة للنفس المطمئنة (سرسيق: ٧٥-٧٩بتصرف) :

- **الوصف الأول: أنها راضية:** بما أنعم الله به عليها من خير عميم.
- **الوصف الثاني: أنها مرضية:** أي أنها فازت برضا الله تعالى عنها.

- **الوصف الثالث: أنها داخلة في زمرة عباد الله الصالحين وهو تكريم متعدد ومتجدد:**

فأما تعدده فلأنه بكثرة الجماعة وتعدد أفرادها يرتفع مقدارها في موازين التكريم.

وأما تجدده: فلأنه كلما استحقت نفس أن تنعم بساحة الاطمئنان نوديت هذا النداء العظيم بدخولها في زمرة عباد الله الصالحين.

الوصف الرابع: أنها من أهل الجنة: وذلك جملة تكريم الله تعالى للنفس المطمئنة.

ج- خصائصها الأساسية من خلال النص النبوي التالي:

الذي يوضح الخصائص الأساسية للنفس المطمئنة.. فقد أورد الحافظ بن كثير في تفسيره أن رسول الله ﷺ قال لرجل: " قل: اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة. تؤمن بلقائك وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك".

- فالإيمان بلقاء الله تعالى المقصود به الإيمان بالبعث وهو أهم ما يبعث الخشية في قلب المؤمن.
- الرضا بالقضاء: هو مفتاح الصلة الحسنة بين العبد والرب، ودليل التسليم المطلق لله تعالى، وإسقاط التدبير .
- والقناعة بالعطاء : هي مبعث الراحة النفسية للمؤمن، وأساس التعايش السلمي مع سائر المخلوقات دون تطلع إلى ما في أيديهم ، ودون حقد عليهم. ..

د- التساؤل : من أين تستمد النفس المطمئنة اطمئنانها؟

الذي يستفاد من مختلف الأقوال الواردة عن العلماء أن النفس المؤمنة المطمئنة تستمد اطمئنانها من نواح عدة:

- تستمد اطمئنانها من رضا الله تعالى عنها، ومن وعده سبحانه وتعالى لها بالثواب من خلال توحيد الله وإفراده بالعبادة والطاعة.
- وتستمد اطمئنانها من وعد الله تعالى بالثواب.
- وتستمد اطمئنانها من توحيد الله تعالى وحده لا شريك له ، وإفراده وحده

بالعبادة.

- وذكر الله تعالى الذي يورث الاطمئنان في القلـــوب: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨]

من خلال العرض السابق يتضح أن النفوس ثلاث خلافاً لمن ذهب إلى أنها خمس فزاد عليها نفسين آخرين وهما: النفس المسولة والنفس الموسوسة وقد استـــشهد للـــنفس المسولة بآيات من القرآن الكريم ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف:١٨]

وللنفس الموسوسة بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق:١٦] (الشرباصي: ١٦٩ وما بعدها)

وبالنظر والتأمل فيما ذكر من أدلة نجد أنه لا ضرورة لزيادة هذين النفسين وذلك لما يلي: -

أ) أنه لم يقل أحد من المحققين المعتد بهم أو المفسرين الموثوق بـــأقوالهم أن هنـــاك نفسيين بهذين الاسمين وهاتين الصفتين فقد ذكر ابن القيم أن النفس الإنسانية قد وصفت بثلاث صفحات في القرآن الكريم : المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء — ابن القيم — ط١ ٩٢.

ب) بأن النصوص القرآنية لا تساعد على قيام فكرة هذين القسمين وذلك لأن الآيات القرآنية لم تذكر قسماً برأسه يدعي بالنفس المسولة ولا قسماً آخر يدعي بالنفس الموسوسة. كما ذكرت النفوس الأخرى باعتبارها قوى مـــستقلة ذات صـــفات محددة ومميزة.

ج) أن هاتين النفسين — حسب التعريف الوارد لها — يمكن بسهولة إدخالهـــا ضـــمن عنوان النفس الأمارة بالسوء على اختلاف في درجات السوء أو دركاته بعبارة أدق فالتسويل وهو تقدير معنى في النفس مع الطمع في إتمامه يدخل تحت الأمر بالـــسوء حيث أنها تزين القبيح وتسوغ الأهواء وترسم الشر كأنه خير.

والوسوسة وهي الهمس بالصوت الخفي الذي لا يكاد يبين، ليست إلا إيحاءاً بالشر من النفس الأمارة بالسوء إلى صاحبها بطريقة خفية ولكنها دائبة ومستمرة.

د- أن مدى التفاوت بين هاتين النفسين، ثم التفاوت كذلك بينهما وبين النفس الأمارة لا يسمح بتكوين قوة نفسية مستقلة مغايرة، فلا النفس المسولة تصلح أن تكون قسماً مستقلاً برأيه ولا النفس الموسوسة كذلك تصلح أن تكون قسماً قائماً بنفسه، ولا كلتاهما معاً تصلحان أن تكونا قسماً مغايراً للنفس الأمارة بالسوء. (سرسيق: ٨٥-٨٨بتصرف).

المبحث الثالث

الدراسة المقارنة

ويشتمل على:

١-دراسة مقارنة لحالات النفس الثلاث في القرآن الكريم وأقسام النفس الثلاثة (الهو، والأنا الأعلى، والأنا) في علم النفس الحديث.

٢-دراسة مقارنة لأنواع الحيل العقلية الثلاث للنفس (الإسقاط – التبرير- تكوين رد الفعل) بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث.

٣-بين أهداف القرآن الكريم في النفس الإنسانية، وأهداف الدراسات النفسية في التصور الإسلامي....

عرضنا التحليل الإسلامي الموضوعي الصادق لخصائص النفوس الثلاث، وعرفنا أنها حالات يمر بها الإنسان طبقاً لمواقف الحياة المختلفة، من حيث إنه ليس للنفس جوهر مستقل في داخل الذات.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بعد نزول القرآن الكريم بنحو أربعة عشر قرناً من الزمان جاء سيجموند فرويد freud بنظرية في الشخصية ميز فيها ثلاثة أقسام للنفس نلمس في بعض وظائفها بعض أوجه الشبه بمفاهيم النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة الواردة في القرآن الكريم وإن كانت توجد أيضاً اختلافات كبيرة مما سنشير إليه.

أقسام فرويد freud للنفس:

ذهب فرويد إلى أن للنفس ثلاثة أقسام: الهو ID، والأنا الأعلى super والأنا ego.

الهو في رأي فرويد هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن. وهو يطيع (مبدأ اللذة) ويهدف دائماً إلى الإشباع من غير مراعاة للمنطق أو الأخلاق أو الواقع. والهو بهذا المعنى يشبه إلى حد ما مفهوم (النفس الأمارة بالسوء).

(والأنا الأعلى) هو ذلك الجزء من النفس الذي يتكون من التعاليم التي يلقاها الفرد من والديه ومدرسيه ومن قيم الثقافة التي ينشأ فيها، ويصبح قوة نفسية داخلية

تحاسب الفرد وتراقبه وتنقده وتهدده بالعقاب وهو ما يعرف عادة بالضمير. ويرى فرويد أن الأنا الأعلى يمثل ما هو سام في الطبيعة الإنسانية وهو بهذا المعنى يشبه إلى حد ما مفهوم النفس اللوامة.

و(الأنا) هو ذلك الجزء من النفس الذي يقبض على زمام الرغبات الغريزية المنبعثة من الهو ويسيطر عليها ، فيسمح بإشباع ما يشاء منها، ويؤجل ما يرى تأجيله، ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعياً " مبدأ الواقع" أو العالم الخارجي بما يتضمنه ذلك من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية. ويقوم الأنا في رأي فرويد بالتوفيق بين الهو، والواقع أو العالم الخارجي و(الأنا الأعلى) بحيث يسمح بإشاع رغباته الغريزية في الحدود التي يسمح بها الواقع، ويحد من تطرف الأنا الأعلى بحيث لا يجعله يسرف في النقد والتهديد بالعقاب بدون مبرر معقول. وإذا نجح الأنا في وظيفته التوفيقية أمكن أن يتحقق للإنسان الاتزان والسواء والصحة النفسية. وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نجد شبهاً بين النتيجة التي يؤدي إليها نجاح الأنا في وظيفته وما يحققه للإنسان من اتزان وسعادة وبين حالة (النفس المطمئنة التي يصل إليها الأنسان بالتغلب على أهوائه، وبتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية مراعياً في ذلك (مبدأ الواقع) الذي يفرضه نظام الحياة في المجتمع المسلم من القيام بالعبادات المفروضة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل الصالح، وإتباع قواعد الأخلاق الإسلامية" (نجاتي صص ٢١٦-٢١٧بتصرف).

أوجه الاختلاف بين مفاهيم النفس في القرآن الكريم وأقسام النفس لدى(فرويد):

ومما يجدر أن ينتبه إليه الباحث المسلم أنه توجد أوجه اختلاف كثيرة بين مفاهيم النفس الثلاثة كما وردت في القرآن الكريم وبين أقسام النفس الثلاثة التي ذكرناها لدى " فرويد" نذكر منها ما يلي:

١- مفاهيم النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة كما وردت في القرآن الكريم تعتبر حالات مختلفة تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلي بين الجانب المادي والجانب الروحي في شخصية الإنسان، أما مفاهيم " الهو" والأنا الأعلى" و" الأنا" فهي في نظرية فرويد أقسام مختلفة للنفس.

٢- مفاهيم النفس الإنسانية الثلاثة لا تتكون أثناء مراحل نمو معينة يمر بها الإنسان أما

أقسام النفس الثلاثة" الهو" والأنا" والأنا الأعلى" و"الأنا" في نظرية فرويد فإنها تتكون في مراحل مختلفة من نمو الطفل:

أ- "فالهو" هو نفس الطفل عقب ميلاده مباشرة، إذ يكون الطفل واقعاً كلياً تحت تأثير متطلباته الغريزية.

ب- ثم تحت تأثير العالم الخارجي يبدأ يتكون من" الهو" جزء متميز عنه هو " الأنا" وهو الذي يقوم بالتحكم في الغرائز المنبعثة من" الهو" مراعياً مقتضيات الواقع والعالم الخارجي.

ج- ومن التعاليم والنواهي التي يتلقاها الطفل من والديه والثقافة التي ينشأ فيها يتكون الأنا الأعلى" وهو الضمير الذي يحاسبه ويلومه ويؤنبه على ما يقوم به من أخطاء.

٣- وبينما يقع الصراع النفسي في نظرية فرويد بين أقسام النفس الثلاثة حيث يحاول فيه" الأنا" أن يوفق بين متطلبات" الهو" و"الأنا الأعلى" والعالم الخارجي فإن هذا الصراع وفقاً لتصوير القرآن الكريم لطبيعة تكوين الإنسان يقع بين الجانب المادي والجانب الروحي من شخصية الإنسان وتنشأ تبعاً لنتيجة هذا الصراع حالات النفس الثلاث: النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة (نجاتي:صص٢١٧-٢١٨بتصرف).

نخلص من هذه كله، بأنه من الإعجاز القرآني الحكيم – والله أعلم بمراده - أن يكون للقرآن الكريم فضل السبق على علم النفس الحديث، بتحديد هذه القوى النفسية الثلاث ذات الأثر الملموس – بقدرة الله تعالى – في توجيه السلوك الإنساني وذلك قبل أن يكون للمسألة وضعها الحالي في علم النفس التحليلي بأربعة عشر قرناً من عمر الزمان.

وفيما يلي نبين كذلك فضل السبق للقرآن الكريم على علم النفس الحديث بالنسبة لأنواع الحيل العقلية للنفس وتسمى بحيل الدفاع اللاشعوري (الإسقاط والتبرير، وتكوين رد الفعل).

يعرف د. نجاتي في كتابه "القرآن وعلم النفس" الحيل العقلية بأنها عبارة عن سلوك دفاعي يلجأ إليه الإنسان لوقاية نفسه من الشعور بالقلق الذي يمكن أن ينتابه إذا ما عرفت دوافعه الحقيقية الكامنة في نفسه، والتي يحاول إخفاءها بالالتجاء إلى الحيل العقلية. (نجاتي ص: ٢٣٠).

وتسمى بحيل الدفاع اللاشعوري (ميكانزمات) تهدف إلى تخفيف التوتر النفسي وحالات الضيق التي تنشأ عن استمرار حالة الإحباط لمدة طويلة بسبب عجز الفرد عن التغلب على العوائق التي تعترض إشباع دوافعه. كما أنها تمثل حلاً وسطاً للمشكلات التي يعجز الفرد عن حلها إذ أن الحيل العقلية دوافع لا شعورية تظهر على الإنسان دون وعي منه وقد كانت شخصية المنافقين تتميز بالشك والتردد وضعف الثقة بالنفس، والخوف من انفضاح أمرهم، والرهبة من أن يعرفهم المسلمون فيبطشون بهم ولذا كانوا يكثرون من الالتجاء إلى الحيل العقلية كسلوك دفاعي.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع من الحيل العقلية كان المنافقون يقومون بها وهي: الإسقاط والتبرير وتكوين رد الفعل، وفيما يلي نقدم شرحاً موجزاً لكل منها:

١- الإسقاط: projection وهي حيلة دفاعية عقلية لا شعورية يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النفسية أو دوافعه أو عيوبه أو أخطائه على غيره فيدركها في غيره بدلاً من أن يدركها في نفسه.

وينطبق عليها المثل العربي : (رمتني بدائها وانسلت) أو المثل العامي: (كل يرى الناس بعين طبعه) وكما قال الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وكان المنافقون يضمرون العداء للمسلمين ويخفون حقدهم عليهم وكراهيتهم لهم، وكانوا يسقطون شعورهم العدائي على المسلمين فيظنون أن المسلمين يريدون البطش بهم، وقد صور القرآن الكريم ذلك أشد التصوير في وصف المنافقين الذين يحسبون أن كل صيحة يسمعونها تصدر عن المسلمين ضدهم ﴿.....يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون:٤]

ويلاحظ أنه بعد عبارة " كل صيحة عليهم" تقول الآية مباشرة " هم العدو فاحذرهم" وهذا يوضح أنهم هم الذين يضمرون العداء للمسلمين في الحقيقة وأن إدراكهم لما يسمعون من صيحات كأنها ضدهم ليس إلا وهما نتيجة عملية الإسقاط.

٢- التبرير Rationalization : وهو حيلة عقلية دفاعية يحاول بها الإنسان تبرير دوافعه وأفعاله غير المقبولة بأن يعطيها تفسيراً مقبولاً، وأيضاً هو إعطاء أسباب منطقية مقبولة لسلوك ما بغرض إخفاء الحقيقة عن الذات.

وهو يختلف عن الكذب في أن التبرير لا شعوري، بينما الكذب شعوري، كذلك فإن التبرير يخدع به الفرد نفسه والكذب يخدع به الآخرين.

أما الأمثلة على التبرير من واقعنا فهي كثيرة ومنها:

من يبرر لنفسه بأن العمل الصادر منه هو خالص لوجه الله تعالى وليس إيذاء لأحد، فقط ليرضي ضميره الذي يؤنبه، ويأتي لها بالمبررات التي ينخدع بها بأن ما يقوم به ليس من باب الظلم بل هو عين العدل؛ وكذلك الفاشل الذي يعطي لنفسه أسباب معقولة ليتجنب الشعور بالضيق وتأنيب الضمير.

وقد كان المنافقون يلجأون إلى التبرير في كثير من الأحيان لتفسير سلوكهم تفسيراً يكون مقبولاً، فإذا أفسدوا في الأرض قالوا إنما نقصد الإصلاح،وهم بذلك يقومون بتبرير أفعالهم تبريرات تبدو مقبولة ومعقولة.

وقد وصف القرآن الكريم التبرير الذي يقوم به المنافقون بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١- ١٢].

فالحيل العقلية سلوك يقوم به الإنسان بطريقة لا شعورية فحينما يسقط الإنسان شعوره العدائي على آخر فيعتقد أن هذا الشخص الآخر هو الذي يضمر له العداء ، فإنه يقوم بذلك بدون وعي منه بانه يقوم بعملية إسقاط ، وكذلك حينما يقوم الإنسان بالتبرير فهو لا يكون واعياً بأنه يقوم بعملية تبرير بل إنه يعتقد فعلاً أن ما يقوم به من أعمال سيئة إنما هي أعمال حسنة ومفيدة أو أنه يقصد منها الخير والإصلاح، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الناحية اللاشعورية من الحيل العقلية بقوله في وصف سلوك المنافقين الذين يقومون بعملية التبرير ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (البقرة: ١٢) ولكن لا يشعرون إنما يشير إلى عدم وعيهم بأن ما يفعلونه إنما هو إفساد وليس إصلاح "نجاتي ص ٢٣١-٢٣٢".

٣- تكوين رد الفعل أو (التكوين العكسي) Reaction construct

وهو حيلة عقلية دفاعية يتخذ فيها الفرد سلوكاً يكون مضاداً للسلوك الآخر الذي يريد إخفاءه.

أو هو التعبير عن الدوافع المستهجنة سلوكياً في شكل معاكس بحيث يتخذ الفرد سلوكاً يكون مضاداً لسلوك آخر يريد إخفاءه.

ومن الأمثلة الواقعية على ذلك:

أنه قد يبدي شخص ما كثيراً من المجاملة والأدب والاهتمام في معاملة شخص آخر كوسيلة دفاعية ليخفي بها كرهه له وشعوره العدائي له.

وقد يكثر الشخص من الضحك وإبداء السرور كرد فعل عكسي لمصيبة كبيرة.

وقد يبدي شخص ما اهتماماً بالغاً لموضوع معين ينافي ما يعتقده ويؤمن به لإخفائه.

وقد كان المنافقون يلجأون إلى هذه الحيل العقلية الدفاعية لإخفاء حقيقة شعورهم بالكراهية والعداء للمسلمين. فكانوا يحسنون الكلام معهم ويظهرون حبهم وإعجابهم بهم وتقديرهم لهم بقصد إخفاء ما تضمره نفوسهم من كراهية وعداء، قال الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤- ٢٠٥]

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون:٤]

وهكذا نرى أن القرآن الكريم في وصفه لسلوك المنافقين في عصر النبي - ﷺ- كشف بعض الحيل العقلية التي كان يستخدمها المنافقون وذلك منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن يكتشف فرويد هذه الحيل العقلية في سلوك مرضاه الذين كان يقوم بعلاجهم.

-٣-

بين أهداف القرآن الكريم في النفس الإنسانية وأهداف الدراسات النفسية في التصور الإسلامي...

أ- **أهداف القرآن الكريم في النفس الإنسانية:**

وقد أجملها الأستاذ إبراهيم سرسيق في خمسة أهداف كبرى نبينها بتصرف فيما يلي:

١- تمحيص نفس الإنسان وتطهيرها بالابتلاء والاختبار:

فقد أراد الله العلي القدير للنفس الإنسانية أن تعاني حلو الحياة ومرها، وخيرها وشرها، وأن يكون في تلك المعاناة ما يردها إلى حظيرة الرضي بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء.

و لم يجعل الله سبحانه وتعالى هذا الابتلاء موجهاً إلى نفس دون نفس بل جعله عاماً في كل النفوس البشرية على السواء بدا به أبانا آدم – عليه السلام – وزوجه حواء حين أهبطهما من الجنة إلى أرض المكابدة والابتلاء ثم كان لكل نبي كريم من أنبياء الله تعالى نصيب من الابتلاء والاختبار:

- فإبراهيم – عليه السلام – ألقى في النار بلا رحمة لولا أن تداركته رحمة الله.
- وأيوب – عليه السلام- قد ابتلي بالمرض ومسه الضر.

وخاتم الأنبياء محمد -ﷺ- قوبل بالتكذيب والتعذيب والسخرية، واضطهده أقرب الناس إليه وصدق الله تعالى القائل : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٦]

٢- وضع النفس الإنسانية في موضعها الصحيح دون مبالغة في مدحها أو إنقاص من قدرها:

فالإسلام دين الوسط المحمود، والنفس الإنسانية إذا خرجت عن فطرتها تشوه جمالها وفشا قبحها واختلت المقاييس لديها، ولهذا كانت وصايا القرآن الكريم بعدم التزكية للنفس، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم:٣٢]

ونحن أمام اتجاهين في النظر إلى النفس الإنسانية كلاهما مذموم: -

الأول: هو الإفراط في مدح الإنسان وهي نظرة كافرة فاجرة حيث بالغوا في رفع قيمة الإنسان وجعلوه سيد الكون ولا سلطان لأحد عليه.

الثاني: هو التفريط من قدر الإنسان وهو اتجاه المتصوفة والرهبانية الذين غالوا في احتقار الإنسان ومن ذلك نتبين أهمية وضع الشخصية الإنسانية في موضعها الصحيح دون إفراط أو تفريط،وهي نظرة الإسلام لها.

٣- تدريب النفس على اكتساب الكمالات وتحصيل محاسن العادات ومكارم الأخلاق:

فالنفس المؤمنة ينبغي أن تكون قدوة لغيرها في جميع أنواع التعامل الإنبساني يقول الله سبحانه وتعالى في الثناء على نبينا محمد ﷺ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]ويقول عز وجل: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩]

٤- حفز النفس إلى الطاعة بالترغيب وردها عن المعاصي بالترهيب:

والقرآن الكريم لا يعتمد على الترهيب فقط أو الترغيب فقط وإنما يعتمد على مزيج رباني منهما هو الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته وثوابه يقول عز وجل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة:١٦]

٥- ربط النفس بخالقها عز وجل عن طريق تمجيده وتسبيحه وتقديسه وتحميده:

فقد انتهت آراء علماء النفس الحديث في آخر ما توصلوا إليه وألفوا فيه وهو علم النفس الإنساني إلى أن العودة إلى الإيمان هي السبيل الأمثل والأفضل لجلب الاستقرار والسكينة والأمان للنفس الإنسانية، وهذه الدعوة لب علم النفس الإسلامي وقد تضافرت الأدلة على أن شفاء النفس لا يكون إلا من صيدلية مولاها عز وجل. (سرسيق: ٩٧-١٠٦).

ب- أهداف الدراسات النفسية في التصور الإسلامي :

تهدف الدراسات النفسية في التصور الإسلامي إلى إفادة المسلم وجعل حياته أكثر سعادة واستقامة وتقوى وإنتاجاً، وقد قسمها د. عبدالحميد الهاشمي إلى:

١- أهداف إنسانية ثقافية عامة: تهم كل مسلم مثقف وهي:

أ- **أهمية معرفية نظرية:** لإشباع حب الإطلاع وسعة المعلومات حول العمليات النفسية المتعلقة بذات الإنسان وبمن حوله.

ب- **أهمية شخصية خلقية سلوكية:** فهو يهدف إلى دراسة نفسية الإنسان بأساليب موضوعية والى معرفة مواطن القوة والضعف في شخصيته ومواقف الصحة والخطأ في سلوكه.

ج- **أهمية روحية إيمانية:** فمعرفة المسلم لبعض معالم نفسه وما فيها من دقة الخلق والإبداع يدفعه إلى الإيمان بالله تعالى أحسن الخالقين كما يزيد المؤمن يقينا (﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]

٢- **أهداف علمية تخصصية دقيقة:** وهذه الأهداف يسعى الباحث النفسي إلى تحقيقها

وهي:

أ- وصف وفهم وتفسير السلوك تفسيراً موضوعياً: وهذا هو الهدف النظري أو العلمي لعلم النفس، فالنفس عالم كبير دقيق منظم يخضع لمبادئ وقوانين وهذا يدفعنا إلى مزيد من البحث والدراسة.

ومما قال ابن سينا في قصيدته المطولة عن النفس:

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ب- التنبؤ العلمي النسبي بما سيكون عليه السلوك: وهو ترجيح أحد الاحتمالات السلوكية نتيجة فهم الظاهرة السلوكية ومعرفة أسبابها وخصائصها.

ت- تطبيق عملي لخير الإنسان: فعلم النفس في المجال العملي التطبيقي هو سيف ذو حدين ، فهو لخير الإنسان في مجالات التربية والتعليم والصحة والاجتماع والأمن، كما أن هناك جوانب سيئة كالحروب النفسية لإفساد النفوس مثل مبادئ (فرق تسود) و(عمليات غسيل المخ) و(جوع كلبك يتبعك) و(الجنس مفتاح الأسرار).(الهاشمي: صص١٥-١٩ بتصرف).

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة نسجل أهم النتائج التي يمكن استخلاصها فيما يلي:

١- إن الإنسان في التصور القرآني الكريم يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه.

٢- أن النفس معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعاله من الخير والشر، كما أنها معني يمكنه من التمييز والوعي والإدراك.

٣- أن النفس في القرآن الكريم لها حالات ثلاث – وليست خمسة كما ذهب البعض – وهي: النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة.

٤- أن النفس الأمارة بالسوء أكثر شيوعاً وانتشاراً في المجتمع من النفس اللوامة والنفس المطمئنة وهذا ما تؤيده نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

٥- النفس اللوامة لها أثر ملموس في زجر الآخرين عن الشر ودعوتهم إلى الخير، وأنها قد تكون سبباً في تعديل سلوكهم وتغيير أفكارهم واتجاهاتهم، والانتقال بهم من مرتبة الصلاح إلى مرتبة الإصلاح.

٦- أنه توجد أوجه اختلاف كثيرة بين مفاهيم النفس الثلاثة كما وردت في القرآن الكريم وبين أقسام النفس الثلاثة كما وردت في علم النفس الحديث.

٧- كما تبين أن للقرآن الكريم فضل السبق على علم النفس الحديث بتحديد هذه القوى النفسية الثلاث (الأمارة، واللوامة، والمطمئنة) وببيان أنواع الحيل العقلية – الإسقاط والتبرير وتكوين رد الفعل – التي كان يلجأ إليها المنافقين لإخفاء ما تنطوي عليه نفوسهم.

٨- أن للقرآن الكريم أهدافاً سامية في النفس الإنسانية تتناول النفس من جميع جوانبها من حيث التمحيص والتطهير بالابتلاء والاختبار، وعدم تزكية النفس وذلك بوضعها في الموضع الصحيح، وحفزها إلى الطاعة بالترغيب وردها عن المعصية بالترهيب إلى غير ذلك من الأهداف.

٩- أن الدراسات النفسية في المنظور الإسلامي تهدف إلى دراسة نفسية الإنسان ومعرفة

مواطن القوة والضعف فيها، ومواقف الصحة والخطأ في سلوكه مما يجعل حياته أكثر سعادة واستقامة وتقوي وإنتاجاً.

١٠-أن من المفيد حقاً أن نوصي بقراءة متأنية لتراثنا لنكون على علم بكل ما له صلة بعلم النفس.. وعندها فإننا نكون في موقف يؤهلنا من اختيار ما يناسب أصالتنا وتكويننا الفكري والنفسي والاجتماعي، كما ينمي لدينا القدرة على الإبداع والابتكار عند التحليل أو المقارنة أو إجراء التجارب (الخطيب -٢١ بتصرف).

المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إبراهيم سرسيق: النفس الإنسانية في القرآن الكريم – دار هامية –جدة ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٣- ابن القيم الجوزية: أبو عبدالله بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٣٨١هـ -١٩٦١م.

٤- ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٩، ص٢٩٤، وما بعدها، مكتبة ابن تيمية (د.ت)

٥- أحمد الشرباصي: من أدب القرآن – دار المعارف – مصر- ١٩٧٦.

٦- أحمد جمعة محمد أبوشنب: مذكرة علم النفس التربوي – المستوى الثاني ١٤٢٥هـ.

٧- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد): فتح القدير، الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير ٣/٣٤، ٣٥.

٨- القرطبي(أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري) في الجامع لأحكام القرآن ٢/٥٧.
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية – الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة.

٩- سيد عبدالحميد مرسي: النفس المطمئنة – مكتب وهبة – القاهرة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٠-سيد قطب، في ظلال القرآن- دار الشروق – ط١٠ ١٩٨١م.

١١-صالح بن إبراهيم الصنيع : دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس – دار عالم الكتب- الرياض، ط١ ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

١٢- عبدالحميد الهاشمي: أصول علم النفس العام – دار الشروق، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٣- محمد الأمين مصطفى الخطيب: علم النفس بين الأصالة والتبعية: دار المطبوعات الحديثة جدة – ط١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٤- عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان ثلاثة أجزاء : دار المعارف ١٩٨١م.

١٥- محمد عثمان نجاتي: دار الشروق، ١٩٨٥م.

١٦- محمد عز الدين توفيق – التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، ١٤١٨هـ .

١٧-محمد محمود عبدالجابر: الإسلام وعلم النفس، مكتبة الصفحات الذهبية، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٨-مرسي شعبان السويدي: غرائز النفس البشرية وأمراضها ومنهج الإسلام في معالجتها، القسم الأول. دار الصحابة للتراث بطنطا ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٩- محمد فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٠- مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم – القاهرة – ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

المحتويات

المحتـــــــــــــويات	الصفحـــة
ملخص الرسالة	١
المقدمة	٢
المبحث الأول: مكانة النفس بين الروح والعقل في الإسلام	٤
مدلولات مادة (ن ف س) ومعانيها في القرآن الكريم	٥
المبحث الثاني:التحليل الإسلامي لخصائص النفس الإنسانية وحالاتها الثلاث.	١١-٢١
١- النفس الأمارة بالسوء	١١
٢- النفس اللوامة	١٤
٣- النفس المطمئنة	١٧
الرد على من ذهب أن النفوس خمسة	٢٠
المبحث الثالث: الدراسة المقارنة	٢٢
١- مقارنة حالات النفس في القرآن الكريم وأقسام النفس في علم النفس الحديث	٢٢
٢- مقارنة الحيل العقلية للنفس بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث	٢٥
٣- بين أهداف القرآن الكريم وأهداف الدراسات النفسية في النفس الإنسانية.	٢٨
الخاتمة: أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من الدراسة	٣٢
المراجع.	٣٤
المحتويات	٣٦